الفصل الثاني

المسجد الأقصى والزلزال القادم

المسجد الأقصى.. والزلزال القادم

اليهود مصممون بشكل أكيد على تنفيذ مخطط الهدم، وهياجهم يشتد كلما اقترب موعد الألفية الثالثة، وهم يستندون إلى ظهير قوي من المنظمات النصرانية (الإنجيلية) في الغرب، مما يضاعف من خطر المؤامرة التي يمكن أن يتعرض لها المسجد الأقصى في وقت يلتهي العرب والمسلمون فيه باهتمامات قاصرة صغيرة.

إن هناك شواهد عديدة تدل على أن قضية المسجد الأقصى ستكون نقطة المركز وبؤرة الاهتمام في العديد من القضايا الدينية، وما يترتب عليها من نشاطات سياسية وعسكرية في منطقة الشرق الأوسط، وليس هذا من قبيل الأمور المؤجلة إلى مدىً بعيد؛ بل إن هذا الاهتمام سيفرض نفسه ـ والله أعلم ـ في المستقبل القريب المنظور.

وهذا الاهتمام أو الانشغال بل الانهماك بأمر المسجد الأقصى لن يكون على مستوى سكان الأرض المقدسة وحدهم، بل ستتسع دائرته لتشمل محيطاً يلف مئات الملايين من سكان العالم مسلمين ونصارى ويهوداً.

هل هذه مبالغة؟! لا؛ بل هي الحقائق التي لا ينبغي أن نهملها أو نتجاهلها، وتدل عليها الأسباب الآتية:

أولاً: اليهود في العالم[١] ـ وليس في (إسرائيل) فقط ـ يسابقون عقارب الساعة الآن لهدم المسجد الأقصى مع بدايات الألفية الثالثة؛ التي تصادف عندهم

(١) عددهم ستة عشر مليوناً، والذين داخل (إسرائيل) منهم أربعة ملايين فقط.

الاحتفالات بذكرىٰ مرور ثلاثة آلاف عام علىٰ بناء مدينة القدس وتأسيس (مملكة إسرائيل الأولىٰ). وعندما تحل هذه الذكرىٰ تكون دورة الزمان قد قاربت علىٰ الاكتمال، ليبدأ زمان جديد ـ تشير إليه توراتهم ـ وهو زمان الهيمنة اليهودية، ولن يكون لهذه الهيمنة أي صفة مع استمرار غياب قبلة اليهود التي هدمت قبل ألفي عام (هيكل سليمان)[1]؛ الذي انطلقت منه دعوات كل أنبياء بني إسرائيل، والذي ستنطلق منه ـ كما يعتقدون ـ دعوة نبي اليهود المنتظر، الذي يعتقدون أن بناء الهيكل سيعجل خروجه! والهيكل ليس له مكان آخر يقام فيه ـ في نظر اليهود ـ إلا علىٰ أرض مسجدي الأقصىٰ والصخرة.

ثانياً: ملايين النصارىٰ في العالم يتزايد الاعتقاد بينهم ـ بفعل الجماعات (الأصولية) النصرانية ـ بأن المسيح عيسىٰ بن مريم ـ عليه السلام ـ علىٰ وشك العودة مع بدايات الألفية الثالثة، وهم يعتقدون أيضاً أن الهيكل سيكون منطلقاً لدعوته في المرة الثانية كما كان شأنه في المرة الأولىٰ، فهكذا يفهمون الإنجيل، وهكذا يفسرون التوراة التي يؤمنون بها مع الإنجيل. . .

ثالثاً: أما المسلمون ـ وهم يبلغون أكثر من ربع سكان العالم ـ فلن يقفوا مكتوفي الأيدي، وهم يرون معاول الحقد اليهودي أو النصراني تمتد إلىٰ المكان المقدس الثالث عندهم؛ الذي صُفَّت فيه قَدَما نبيهم ﷺ وهو يصلي بجميع الأنبياء في ليلة الإسراء.

ومن جهة أخرىٰ، فإن جواً مكفهراً بالأحداث الجسام. في حالة وقوع

(١) نُسب إلىٰ سليمان ـ عليه السلام ـ مع أن الذي بناه أول مرة إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأن سليمان جدد بناءه وشيده تشييداً عظيماً. وهيكل سليمان يمثل مراحل المسجد الأقصىٰ قبل الإسلام وقد هُدم الهيكل مرتين قبل الإسلام.

المحذور ـ لا قدر الله ـ يمكن أن يحرك في الناس روحاً من اليقظة المنفعلة والمندفعة بالعواطف، والمستندة في الوقت ذاته إلىٰ البحث في المجهولات والغيبيات عن تفسير لما يحدث من وجهة نظر إسلامية؛ لتحشد علىٰ أساسه طاقات متحفزة للذود عن الذات والهوية.

لكل هذا؛ فالمتصور أن هناك حلبة صراع حقيقية وعالمية، يمكن أن تنصب علىٰ ساحات الأرض المقدسة، إذا ما أقدم اليهود بممالأة من النصارىٰ علىٰ تنفيذ أكبر حدث يمكن أن يُختم به القرن العشرون أو يفتتح به القرن الحادي والعشرون، وهو: هدم المسجد الأقصىٰ، وهو حدث يعترف اليهود أنفسهم بأنه سيكون ـ إذا حصل ـ بوابة لأحداث كبرىٰ يمكن أن تفتح أمامهم صراعات لا يعرفون لها مدىً[1].

هل هذه أساطير؟!

سيقول أقوام: هذه أساطير تعشعش في أدمغة طوائف من غلاة النصارىٰ وعتاة اليهود. نقول: نعم! هي أساطير، ولكن من قال: إن الكفار من أهل الكتاب تخلَّوا يوماً عن الأساطير قديماً أو حديثاً!؟ واليهود بوجه خاص: هل وصلوا إلىٰ ما وصلوا إليه من العلو في الأرض إلا بدفع نفسي قوي من وحي الأساطير التي ترجمت إلىٰ برامج للعمل وخطط للتحرك؟!.

(دولة إسرائيل) كانت أسطورة، وعاصمتها كانت أسطورة، وقوتها وجيشها

(١) منذ عشر سنوات، صدر للمؤلف كتاب (قبل أن يهدم الأقصىٰ) عن دار طيبة للنشر والتوزيع ودار الوطن بالرياض، وعن دار النشر والتوزيع الإسلامية بالقاهرة، وفيه استعراض بإسهاب للخلفيات الدينية والتاريخية لدىٰ الأمم الثلاث للاهتمام بشأن ذلكم المكان وتفاعلاتها المعاصرة. وهذا الفصل يعد استكمالاً مختصراً لما استجد من موضوعات الكتاب المذكور.

بُنيا على أسس من وحي الأساطير، بل إن خطوات اليهود الوئيدة للسيطرة على العالم من خلال السيطرة على أعظم قوة فيه لا تحركها إلا الأساطير. ولكنْ هناك فرق بين من يتحرك بالأساطير إلى عالم الحقيقة، ومن يتهرب من الحقائق إلى عالم الأوهام والأساطير؟

الأمر جاد.. والنوايا مبيتة... والخطوات تتسارع رغم سيرها على درب الأساطير، وعلى المسلمين أن يعوا أن هدم المسجد الأقصى صار عند يهود العالم ومن شايعهم من النصارى؛ فريضة الوقت، ومسؤولية الجيل، وهو فرصة العمر السانحة لأول مرة في التاريخ منذ ألفي عام.

فما الذي يجب علينا فعله؟.. وقبل ذلك ما الذي يجب علينا فهمه؟

لتجلية خلفيات هذا الأمر، فإن هناك أسئلة لا بد من طرحها، ولا مناص من الإجابة عليها ومصارحة النفس بها:

ماذا يمثل المسجد الأقصى بالنسبة لليهود؟

وهل يمكن أن ينجحوا في هدمه فعلاً؟!.. وماذا لو هُدم؟ وما هو واجب المسلمين حتى لا يقع المحذور؟! وما هو المتوقع من الأعداء لو نُفذت المؤامرة؟!... وهل يمكن أن يتراجع اليهود عن تحقيق هذا الهدف؟

أسئلة ينبغي التحضير لها من الآن، قبل أن تفجأنا الحوادث ويتجاوزنا الزمان.

أولاً: ماذا يمثل المسجد الأقصى بالنسبة لليهود؟

لا يغيب عن علم المطلع على تاريخ النبوات، أن لكل أمة قبلة تتجه إليها في صلواتها وعبادتها، فكما أن لنا ـ نحن أهل الإسلام ـ قبلة هي الكعبة المشرفة،

فقد كان لكل من أصحاب الديانات السماوية السابقة قبلة يتجهون إليها ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]، وكان هذا التوجه عند أصحاب كل ملة جزءاً من شريعتهم، ولكن الأمر الذي جدَّ ـ بعد بعثة الرسول الخاتم ﷺ ـ أن تلك الشرائع نُسخت وأُلغي العمل بها، وبالتالي: فقد نسخت شرعية كل قبلة يُتجه إليها إلا الكعبة المشرفة، فهي وحدها التي تقبل العبادة بالتوجه إليها، وهي أيضًا لا تقبل إلا من موحد مسلم.

والمشكلة: أن هؤلاء المتبعين للشرائع المنسوخة لم يعترفوا ـ وخاصة اليهود منهم ـ بذلك النسخ، ولم يؤمنوا بالشريعة التي جاء بها النبي الخاتم ﷺ، وهم بالتالي قد ظلوا متشبثين بالقبلة التي كانوا عليها ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ...﴾ [البقرة: ١٤٥].

إن قبلة اليهود ـ منذ كانوا، وإلى اليوم ـ هي المعبد الذي بناه إبراهيم ـ عليه السلام ـ للمرة الأولى، ثم شيده في هيئة عظيمة سليمان (عليه السلام)، والذي يطلقون عليه: (هيكل سليمان)، وهو الاسم التاريخي القديم للمسجد الأقصى قبل أن يتحول إلى إرث الأمة الإسلامية، والمعروف تاريخيًّا أن ذلك المعبد قد دُمِّر مرتين، المرة الأولى على يد الملك البابلي «بختنصر» عام (٥٨٧ قبل الميلاد)، والمرة الثانية عام (٧٠ ميلادية) على يد الإمبراطور الروماني «طيطس»، حيث دمره تدميراً كاملاً، ولم يبقَ منه إلا جزء من السور في الجهة الجنوبية الغربية لساحة المعبد، وهو الجزء الذي ظل باقيًا حتى بعثة الرسول ﷺ، وهو الذي رُبط فيه (البراق) في ليلة الإسراء والمعراج، وهو نفسه السور الذي تسميه اليهود اليوم بـ(حائط المبكى)، وقد جاء ذكر التدميرَين (الأول والثاني) في القرآن الكريم في أول سورة الإسراء.

والمقصود هنا: أن اليهود ظلوا يتجهون إلىٰ ناحية ذلك الهيكل في صلواتهم منذ ذلك التاريخ، وظلوا يتشوقون ويتشوفون إلىٰ يومٍ يستطيعون فيه إعادة بناء ذلك الهيكل الذي يدْعُونه اليوم بـ (الهيكل الثالث). والنصارىٰ أيضاً يقدسون مكان الهيكل، ويصلون ويحجون إليه، ولكنهم يؤثرون أن يدَعوا لليهود ساحة الصراع عليه الآن[1]، حتىٰ إذا أعيد، نظم النصارىٰ جهودهم لتنصير اليهود ولهذا نرىٰ أن اليهود هم المتصدون منذ دخولهم القدس للعمل لإعادة الهيكل مع مواطأة وممالأة من نصارىٰ البروتستانت الذين يشاركونهم معظم معتقداتهم في الأرض والمعبد.

ولم تسنح الفرصة لليهود طوال ما يقرب من ألفي عام للاقتراب من حلمهم التاريخي بإعادة بناء الهيكل، إلا في هذا القرن، بعد أن عادوا للاستيطان في أرض فلسطين، وظل حلمهم يقترب من التحقيق شيئًا فشيئًا، حتىٰ اقترب جدًّا باحتلالهم لمدينة القدس بعد حرب عام ١٩٦٧م، حيث وقع المسجد الأقصىٰ أسيرًا تحت أيديهم، ولكن الأمور لم تكن بالسهولة التي يستطيعون معها في الحال أن يُقدموا علىٰ إنفاذ رغباتهم المحمومة في هدم المسجد الإسلامي وبناء المعبد اليهودي مكانه، فلجؤوا إلىٰ الحيل والمكائد والمؤامرات للوصول إلىٰ ذلك الهدف في الوقت المناسب.

ثانياً: هل يمكن أن ينجح اليهود فعلاً في هدم المسجد الأقصى؟

ليس بين أيدينا نص معصوم يدل علىٰ أن هدم المسجد الأقصىٰ ممتنع قدراً؛ وليس شرطاً أن ترد أحاديث الفتن بكل ما يقع منها؛ فكثير من الحوادث الجسام

---

(١) راجع بتوسع ـ إن شئت ـ أبعاد المؤامرة المشتركة بين اليهود والنصارىٰ علىٰ المسجد الأقصىٰ في كتاب (قبل أن يهدم الأقصىٰ) للمؤلف.

وقعت دون أن تذكر في آية أو ترد في حديث، وبعضها أخبر عنه النبي ﷺ ولكن حَفِظَ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه(١).

إن الكعبة نفسها قد هُدمت من قبل - في زمن الحجاج - دون أن يكون لذلك ذكر في محكم آية أو نص حديث. والحجر الأسود قد نُزع من الكعبة - في زمن القرامطة - ونقل إلى البحرين ليظل هناك سنين عدداً قبل أن يُعاد، ولم تأت الإشارة إلى ذلك في كتاب ولا سنة؛ إذن فليس لأحد أن يحتج بعدم الورود على عدم الوقوع؛ لأن الأمر قد يُسَطَّر في القدر، ولا يُذكر في الكتب.

والذي يحكم الأمور عند ذلك هو قانون الأسباب والمسببات الذي يجري به قدر الله بما يشاء وقوعه.

وعلى حسب مجريات الأمور المشاهدة؛ فإنها شاهدة بدأب اليهود والنصارى وأخذهم بكل الأسباب المادية، في الوقت الذي يريد المسلمون فيه أن يعطلوا قانون الأسباب؛ وفي ظل ذلك لا نظن أن سنن الله - تعالى - ستحابي أحداً؛ فماذا فعل المسلمون في العالم كله وهم يبلغون - عددياً - ملياراً وربع المليار؟ ماذا فعلوا عبر ما يزيد على ثلاثين عاماً لكي يستنقذوا مقدساتهم من عصابة الملايين الأربعة التي زُرعت بينهم، ثم فرضت وجودها عليهم؟

إن قدر الأسباب لن يحابينا ونحن نجافيه، إلا إن أراد الله أمراً، فقدَّر بسببه شأناً إلهياً محضاً ينقذ المسجد ويعطل أسباب الكيد ضده، كما رد الله كيد أصحاب الفيل لهدم الكعبة قبل الإسلام... ولكن المشكلة أن هذا أيضاً أمر لم يأت به خبر معصوم، فيتكئ عليه المتكئون.

(١) كما دل على ذلك حديث حذيفة بن اليمان قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، أخرجه البخاري (القدر ٦٦٠٤)، ومسلم (الفتن/ ٢٨٩١) واللفظ له.

ثالثاً: ماذا لو هدم الأقصى؟

أتصور أن فئاماً من الناس سيفتنون لو وقع الحدث، وسيقولون: كيف هذا والمسجد الأقصىٰ قد نزل بشأنه القرآن، وتواترت بفضله الأحاديث، كيف يُهدم، وكيف يتحول إلىٰ معبد يهودي؟ وينبغي أن يقال لهؤلاء: إن المسجد الأقصىٰ قد مرت عليه السنون في مرحلة من التاريخ وصلبان النصارىٰ مرفوعة فوق مآذنه، أيام كان الاحتلال الصليبي، وقد كان مسجداً إذ ذاك، ولم تنتف عنه صفته الشرعية، ولا خصوصياته المسجدية؛ والذي أصابه لم يتعدَّ التلوث بأوضار التثليث، ثم عاد لأهل التوحيد عزيزاً مطهَّراً، لـمّا عادوا إلىٰ نصرة التوحيد.

فلا بد أن يُعلم أن أرض المسجد مقدسة، ولها أحكامها الشرعية من حيث مضاعفة أجور الصلوات فيها، واستحباب شد الرحال إليها، سواء أكان البناء موجوداً أو غير موجود؛ فالساحة نفسها سُميت مسجداً وقت تنزُّل القرآن بآيات الإسراء، ولم يكن ثمة مسجد مقام. إن المكان أخذ حكم المسجد قبل أن يُبنىٰ مسجداً في الإسلام، وصلىٰ فيه إمام الأنبياء ﷺ بأولي العزم من الأنبياء في أرض فضاء... فحقائق التاريخ وقصص الأنبياء تدل علىٰ أن المسجد الأقصىٰ لم يبنَ مرة أخرىٰ بعد هدمه الثاني بُعيد زمان عيسىٰ - عليه السلام - حتىٰ جاء محمد - عليه الصلاة والسلام - ولما تم الفتح، جاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعه كعب الأحبار - رضي الله عنهما - ليدله علىٰ موضع مصلىٰ داود - عليه السلام - ثم بنىٰ هناك مسجداً متواضعاً من خشب[1]، فلما جاء عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، أعاد بناءه علىٰ الهيئة التي هو عليها الآن. وقد

(١) انظر فتوح الشام (١/ ٢٤٢).

حافظ المسلمون على مر العصور على هذه الأمانة، حتى جاء عصر تضييع الأمانة الذي نعيشه، فوقع المسجد في الأسر، وها هو يتهدد بالهدم.

وهنا أمر تنبغي الإشارة إليه، وهو ما ورد في الحديث الصحيح بشأن منع الدجال من دخول مساجد أربعة، منها المسجد الأقصى، وذلك في قوله ﷺ: «. . وعلامته: يمكث في الأرض أربعين صباحاً، يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور»(١). وهذا يحتمل أن يظل المسجد كما هو، بحفظ الله وحده، أو أنه سيُعاد كما كان ـ إذا أصابه مكروه ـ لا قدر الله ـ أو أن المراد بالمسجد أرض المسجد كما في آية الإسراء.

رابعاً: ما الواجب على المسلمين حتى يُعذِروا إلى الله؟

لا أبالغ إن قلت: إن الفتاوى بذلك قد أخذت أكبر حيز من الإجماع في الفتاوى السياسية بين علماء المسلمين في العالم، منذ أن قدم اليهود إلى القدس. فقد بُحَّت أصوات العلماء بالنداء والدعاء لإنقاذ المسجد الأقصى. . ولكن كم أضاع المنافقون من الساسة فرصاً لجمع الأمة وتجييشها ضد عدوها المصيري، لتقاتله في سبيل الله تحت راية القرآن الخالد، كما قاتلها هذا العدو في سبيل الشيطان تحت راية التوراة المحرفة.

والذي يمكن أن يقال الآن للمسلمين ـ خاصة وعامة ـ أن يتخففوا من الإثم الواقع عليهم بتدارك الأمر في حدود المستطاع ـ وهو كثير ـ لعل الله ـ تعالى ـ يبارك في تلك الجهود، ويقمع كيد اليهود؛ فدعمُ الحركات الجهادية الإسلامية في

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧/ ٣٤٣) وقال: رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر: رجاله ثقات فتح الباري (١٣/ ١٠٥).

فلسطين هو البداية المستطاعة الآن، حتىٰ يأذن الله بأن تدب روح الغيرة في عروق كثير ممن ولأَّهم الله أمر هذه الأمة المبتلاة.

خامساً: ما هو المتوقع إن وقع المحذور؟

المتوقع أن يبدأ اليهود فوراً في الخطوات العملية ـ المعدة سلفاً ـ في مشروع البناء، بل الإسراع في الانتهاء من إقامة المعبد اليهودي مكان المسجد الإسلامي، ويخطئ من يظن أن اليهود ينتظرون الأقدار ـ مثلنا ـ حتىٰ تتحفهم بحدث سعيد يعيد مجداً ويقيم مُلكاً، لا. . . إن اليهود يحاولون مغالبة السنن، وكأنهم يريدون أن يصنعوا الأقدار صنعاً، ويستخرجوها استخراجاً من مكنون الغيب ومستور القضاء. لهذا تراهم لا يتعاملون مع الأمور بقدريتنا نحن، ولا يتركون شيئاً للمصادفات.

ويشار هنا إلىٰ أنهم قد بدأوا بالفعل في تهيئة الظروف علىٰ أرض الواقع تحسباً للحظة المناسبة؛ ففيما يتعلق بأمر المسجد الأقصىٰ خاصة؛ فإن الدلائل تتكاثر علىٰ تعاظم الجدية لديهم في الإقدام علىٰ مشروع الهدم وما بعده، وهذه أبرز الشواهد علىٰ ذلك:

تضاعُف أعداد التنظيمات والجماعات الساعية والمتعاونة للهدم ثم البناء:

في الأرض المغتصبة الآن (١٢٠) جماعة، تصنف في داخل (إسرائيل) نفسها بأنها (متطرفة)[1] ومن هذه الجماعات ما لا يقل عن خمسة وعشرين جماعة متخصصة في المساعي الرامية لهدم المسجد الأقصىٰ وبناء الهيكل.

وتشكل بعض هذه الجماعات تحالفات فيما بينها، ومن أبرزها ما يسمىٰ:

---

(١) وذلك حسبما نشر في مجلة الأهرام العربي (١٦/ ٥/ ٩٨).

(رابطة القدس) التي تضم عدداً من التجمعات اليهودية المتشددة، وكانت هذه الرابطة هي السبب في إقناع بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء السابق بافتتاح (النفق) المار تحت أساسات المسجد الأقصى عام ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

وبات من المعروف أن تلك الجماعات لا تكتفي بالمطالب والمناشدات، بل تلجأ بين الحين والآخر للقيام بأعمال عدائية واستفزازية ضد المسجد الأقصى، يغلب على الظن أنها تريد بها جس النبض لردود الأفعال التي يمكن أن تحدث لو قامت بالعمل الأخير.

وقد قامت تلك الجماعات منذ عام ١٩٦٧م - الذي احتل اليهود فيه القدس - وحتى العام ١٩٩٠م بأكثر من أربعين عملاً عدائياً ضد المسجد الأقصى، وقد يُظن أن ما يسمى بـ (عمليات السلام) بعد هذا التاريخ قد خففت من حدة المشاعر اليهودية العدائية تجاه جيرانهم العرب (المسالمين)، ولكن الحقيقة أن هذا الوهم تكذبه الوقائع؛ فمنذ أن أُبرمت اتفاقيات مدريد وأوسلو، وأعمال الاعتداء تزداد وتيرتها؛ حتى بلغت قريباً من مئة محاولة، منها ٧٢ محاولة منذ توقيع اتفاق أوسلو وحتى منتصف عام ١٩٩٨م.

لقد بدأت الصحف العالمية والإسرائيلية ترصد تلك الظاهرة التي تتحول مع مرور الوقت إلى نمط عنيف متعجل متعجرف لا يريد أن يتوقف، فكشفت مجلة (فورن ريبورت) البريطانية في الأسبوع الأول من سبتمبر عام ١٩٩٨م، أن جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشاباك)، لديه معلومات وثيقة بأن المتعصبين اليهود المنخرطين في تنظيمات سرية يدبرون لاعتداءات قريبة ونهائية على المسجد الأقصى.

ونشرت جريدة (معاريف) (الإسرائيلية) في (٣٠/٨/١٩٩٨م) مقالاً

بعنوان: (نقاش طارئ تحسباً لتفجير المسجد الأقصىٰ) جاء فيه: «يجري نقاش طارئ حول تحذيرات من الاعتداء علىٰ المسجد الأقصىٰ، يشارك فيه رئيس الوزراء وكبار قادة الدولة، وجاء اللقاء علىٰ أثر أنباء قوية عن احتمالات وقوع مصادمات بين الإسلاميين الفلسطينيين ومتشددين يهود في ساحة المسجد الأقصىٰ تنتهي بعواقب وخيمة».

والسعار اليهودي المتلهف نحو هدم الأقصىٰ ليس مقصوراً علىٰ يهود (إسرائيليين)، ولا حتىٰ يهود من الخارج؛ بل إن نصارىٰ متدينين أيضاً يقدمون من خارج إسرائيل للمشاركة في هذه المساعي الحثيثة الخبيثة، ومن ذلك ما أفادت به صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية في عددها الصادر في ٣/ ٩/ ١٩٩٨م أن (السلطات الإسرائيلية) ألقت القبض علىٰ سائحين إيطاليين (نصرانيين) قدما لـ(إسرائيل) لتنفيذ (مهمة مقدسة) في المدينة الأبدية، قبل أن تبدأ الألفية الثالثة!

وقد نشرت جريدة الحياة في (٢٤/ ١١/ ١٩٩٨م) أن اللجنة الوزارية لشؤون القدس، بحثت الأخطار المتزايدة التي قد تنجم عن شن المتطرفين اليهود هجمات علىٰ المساجد الإسلامية، وإمكان اعتداء متشددين (مسيحيين) علىٰ المسجد الأقصىٰ ومسجد الصخرة بمناسبة انتهاء الألفية الثانية. وقال (يائير يتسحاقي) قائد الشرطة (الإسرائيلية) في القدس: إن أعضاء من طائفة مسيحية من (دينفر) يطلق عليها: (المسيحيون الجادون) وصلوا إلىٰ إسرائيل بعد أن باعوا مقتنياتهم في بلادهم متوجهين إلىٰ إسرائيل لتنفيذ أوامر من زعيمهم (مونت ميلر) الذي أعلن أنه سيموت في القدس قريباً جداً!!

وأشار الوزير (الإسرائيلي) إلىٰ أن الحكومة (الإسرائيلية) بدأت تتعامل مع

نشاطات مثل تلك الجماعات التي تكثف نشاطهـا مع اقتراب العام ٢٠٠٠[١] .

وقد شكل جهاز الشاباك (الإسرائيلي) في الفترة الأخيرة قسماً خاصاً يعكف على العمل ليحول دون وصول التنظيمات السرية اليهودية إلى تحقيق مرادها في التعجيل بهدم الأقصى بمبادرات مستقلة؛ قد تحرج الدولة اليهودية، وفي هذا الشأن كتب الصحفي (الإسرائيلي) (يوسي ليفي) مقالاً في صحيفة معاريف (٢٩/ ٨/ ٩٨م) جاء فيه: (القاعدة التحتية للتنظيمات المتشددة موجودة حسب تقديرات قوات الأمن؛ والمعلومات التي بحوزتها تقول إن الاتصالات بينها تتم بالوسائل والطرق السرية، والتنسيق بينها موجود، والمشكلة القوية التي تواجه أجهزة الأمن هي التغلغل في هذه المجموعات؛ لأنها مجموعات ذات معتقدات أيديولوجية متعصبة مرتبطة بعواطف دينية حادة، بحيث يعرف كل واحد من أعضائها الآخر؛ بما لا يسمح باختراقها).

الحكومات الإسرائيلية تريد إذن أن تستخدم تلك الجماعات بتوازن دقيق، فهي لا تخالفها في الهدف، ولكن ربما تخالفها في الوسائل والبدائل وأوقات التنفيذ.

لكن كل هذا لا يُخفي مباركتها واحتضانها لهذه الجماعات التي يمكن أن توفر لها مخرجاً لإعداد (سيناريوهات) للتنفيذ عند اللحظة المناسبة؛ بحيث تتخفى وراءهم، وكأن الأمر قد خرج من يدها.

وهناك إشارات متفرقة تخرج من (إسرائيل) في الآونة الأخيرة تحاول أن تمهد نفسياً لإمكانية حصول شكل من أشكال تلك (السيناريوهات).

---

(١) هذه المحاولات بالتفصيل نشرتها جريدة البيان الإماراتية في عددها الصادر في ٢٦/ ٥/ ١٩٩٨ .

فقد نشرت جريدة (معاريف) في أغسطس ٩٨م مقالاً بعنوان: (ثلاثة احتمالات للتهديدات) ذكرت فيه أن القيام بعمل ضد الأماكن الإسلامية قد يأخذ أحد الأشكال الثلاثة الآتية:

١ ـ انتفاضة شعبية عارمة من مئات ألوف المتطرفين؛ حيث يقومون بسلسلة عمليات شغب عنيفة، لإشاعة جو من الفوضى يتم خلاله تنفيذ ما يريدون[١].

٢ ـ قد يقوم متطرف يهودي واحد دون شركاء، وبدون مساندة أو إعداد سابق بهذا العمل، مثل ما قام به (عامير) في قتل رابين، أو باروخ جولد شتاين في مذبحة المسجد الإبراهيمي[٢].

٣ ـ قد تقوم مجموعة من الأشخاص في خلية سرية بتوجيه ضربتها مستخدمة القنابل أو الصواريخ.

وقد نشرت جريدة (يديعوت أحرونوت) في عددها الصادر في ١/ ٩/ ٩٨م خبراً بعنوان: (يهودي مجنون قد ينسف الأقصى أو قبة الصخرة)، وجاء في الخبر: «يخشى قادة (الشاباك) أن يقوم متطرف من (اليمين الإسرائيلي) بالاعتداء على المسجد الأقصى أو قبة الصخرة بهدف الإجهاز على العملية السلمية نهائياً. وتذكر الصحيفة أن (سيناريو) الاعتداء عُرض على رئيس الوزراء السابق (نتنياهو) في اجتماع حضره وزير العدل والأمن الداخلي والمالية، إضافة إلى رئيس بلدية القدس، ورئيس جهاز (الشاباك) والمفتش العام للشرطة، وأعربت الصحيفة عن تخوفها من أن يؤدي الاعتداء على المسجد الأقصى أو قبة الصخرة

---

(١) وهذا على طريقة المتطرفين الهندوس الذين هدموا المسجد البابري في الهند عام ١٩٩٤م.
(٢) أو ما فعله (دينس مايكل) النصراني الاسترالي الإنجيلي الذي قام بإشعال حريق كبير في المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م.

إلى إحراق المنطقة كلها.

وهناك (سيناريو) رابع أضيفه من خلال متابعتي للموضوع، وهو إمعان اليهود في المزيد من إضعاف أساسات المسجد وتفريغ الأرض من تحته، ثم الادعاء عند أي هزة أرضية طبيعية أو صناعية، أن المسجد هُدم قضاءً وقدراً!! وهنا تعفي الحكومة الإسرائيلية نفسها وتعفي المنظمات الدينية من مسؤولية الهدم، لتتفرغ للبناء.

وأياً كان الأمر، فالسلطة في (إسرائيل) ليست أقل حرصاً من التنظيمات الدينية السرية والعلنية في الإسراع بهدم الأقصى والصخرة ثم بناء الهيكل على أنقاضهما، وهذا الحرص يصل إلى أعلى مستويات المسؤولية في الحكومات المتعاقبة؛ فمنذ أن قال بن جوريون المقولة المشهورة، ورددها بعده مناحيم بيجن: (لا قيمة لإسرائيل بدون القدس... ولا قيمة للقدس بدون الهيكل) منذ أن قيل ذلك، والمسؤولون الإسرائيليون يدللون بالقول والفعل، على أن هذه قناعة ثابتة لدى الجميع داخل (إسرائيل) ويعبر عن هذه القناعة الحاخام (ماكوفر) بقوله: «لا أشك لحظة في أن الجامع ذا القبة الذهبية والمقام على الصخرة نفسها، التي أقام عليها الملك سليمان مركز العبادة العبرانية في التاريخ القديم.. هذا الجامع سيدمر ليقام مكانه هيكل القدس الجديد الذي سيعاد بناؤه بكل فخامته[1]، وكان أبرز الساسة المجاهرين بالتعاون مع المتدينين لأجل تلك الغاية الخبيثة، بنيامين نتنياهو، ففي عهده المأفون -وللمرة الأولى- انعقد في القدس المؤتمر السنوي السابع لرابطة (إعادة بناء الهيكل) بمباركة ومشاركة حكومية، والرابطة تضم عشر منظمات كبرى اشتركت في تنظيم المؤتمر الذي عقد في ١٧/ ٩/ ١٩٩٨م وضم آلافاً من

(١) الأصولية اليهودية، ص ١٠٢.

اليهود المتدينين من منظمات أخرىٰ يجمعهم قاطبة أنهم أعضاء في منظمات يهودية سرية وعلنية تدعو جهاراً إلىٰ التعجيل بهدم الأقصىٰ وبناء الهيكل.

وتقدر الأوساط الإسرائيلية عدد من حضروا المؤتمر بسبعة آلاف يهودي.

وكان الهدف من المؤتمر ـ الذي شاركت فيه شخصيات حكومية ـ تقسيم المهام من أجل الهدف الذي جعلوه عنواناً للرابطة وهو: (إعادة بناء الهيكل)، وقد ألقىٰ نائب وزير المعارف (الإسرائيلي) (موشي بيلد) كلمة أشاد فيها بالحضور، وخاطب المؤتمرين قائلاً: «أدعوكم إلىٰ مواصلة نشر قيم الهيكل وقيم التراث والثقافة اليهودية بين شباب (إسرائيل) في كافة مراحل التعليم». وأردف قائلاً: «إن الهيكل هو قلب الشعب اليهودي وروحه». ثم قام زعيم منظمة (قائم وحي)[1] ليتحدث عن المشاركين فقال مخاطباً آلاف الحاضرين «هلموا إلىٰ جبل الهيكل.. قاتلوا من أجله، ليس في القاعات ولا بالأقوال سيحرر الهيكل.. نحن الآن مدعوون للتضحية بأنفسنا وأرواحنا» وقال: «مهمة هذا الجيل هي تحرير جبل الهيكل وإزالة الرجس والرجاسة عنه» وتابع: سنرفع راية إسرائيل فوق أرض الحرم، لا صخرة ولا قبة ولا مساجد، بل راية إسرائيل فهذا واجب مفروض علىٰ جيلنا» وقال متحدث آخر: «إننا نرىٰ دعماً رسمياً، ونأمل بأن يسهم في إعطاء انطلاقة جديدة لقضية إعادة المعبد اليهودي في القدس» (الحياة ١٩/ ٩/ ١٩٩٨م).

---

(١) هذه المنظمة امتداد لمنظمة المتعصب اليهودي الهالك مائير كاهانا الذي قتله شاب مصري في الولايات المتحدة، وكانت منظمته تدعىٰ (كاخ) وتعني صوت البندقية، وأسس ابن كاهانا منظمة (قائم وحي) لتكون امتداداً لمنظمة أبيه.

الخطوات الحكومية الممهدة لتنفيذ المؤامرة:

إذا كانت المنظمات المذكورة ـ وهي مجرد منظمات ـ تحمل كل هذا الحماس للتحرك العملي من أجل خدمة المشروع الذي يمثل رمز الوجود اليهودي؛ فما بالنا بالدور الذي يمكن أن تقوم به الدولة نفسها، وهي التي يحمل علمها (النجمة السداسية) الذي يفسره البعض بأنه رمز للهيكل نفسه؟!

لا شك أن لها دوراً يليق بكونها (دولة) وسلطة، فهناك أدوار لا تستطيع المنظمات منفردة ولا مجتمعة أن تقوم بها، بل لا بد من قيام الدولة بالدور الأساس فيها. والذي يظهر من السلوك العام للحكومة؛ أنها تقسم (المشروع) إلى قسمين: قسم للتحضير، وهو يتناول عمليات الإعداد السابقة لبناء الهيكل، بما فيها هدم المسجدين، وهذا القسم تتركه لتلك الجماعات والمنظمات المتعصبة والنشيطة، وقسم آخر لمرحلة التنفيذ، بما تتضمنه من الشروع في البناء ذاته، وتأمين ما يحتاجه من مشاريع وتكاليف ومنشآت وطرق وأنفاق وموظفين وإجراءات نظامية... إلخ.

وهناك **أمر مهم آخر**، وهو: تأمين المرحلة، بمعنى توفير العامل الأمني لتلك المنظمات مجتمعة لكي تقوم بأدوارها ـ التي لن يقوم بها غيرها ـ في التحضير لمرحلة البناء وما بعد البناء؛ ليتم ذلك في أسرع وقت دون معوقات. ونشير هنا إلى بعض الإجراءات الحكومية الإسرائيلية التي لها دلالتها البالغة في الإشارة إلى الدور الذي تضطلع به الحكومة الإسرائيلية في المؤامرة الكبرى:

أولاً: **الحفريات تحت المسجد الأقصى**: وقد قطعت الحكومة الإسرائيلية فيها عشر مراحل، وهذه المراحل العشر استغرقت المدة منذ عام ١٩٦٧م وحتى نهاية

١٩٨٠م، ولا تزال أعمال الحفريات تجري بطرق أخرىٰ إلىٰ وقتنا هذا، وهي تستهدف الوصول إلىٰ غاية من أخبث الغايات التآمرية علىٰ المسجد الأقصىٰ، ولا تستطيع المنظمات اليهودية كلها أن تقوم بها وهي: تفريغ الأرض تحت المسجدين، لتركهما قائمين علىٰ فراغ، ليكونا عرضة للانهيار السريع بفعل أي عمل تخريبي، أو حتىٰ اهتزازات أرضية طبيعية أو صناعية ـ كما سبقت الإشارة، ولكن الهدف المعلن دائماً هو الكشف عن آثار باقية للهيكل الثاني الذي دُمر عام ٧٠ للميلاد، وقد سمحت الحكومة الإسرائيلية خلال عامي ١٩٩٥، ١٩٩٦م لمؤسستين إسرائيليتين وهما: (شركة الآثار الإسرائيلية) و (شركة تطوير القدس) بإجراء المزيد من الحفريات. وفي ١٨/٨/١٩٩٠م، أدلىٰ خبير الآثار الإسرائيلي (جوزيف سيرج) بتصريح قال فيه: «سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث علىٰ أرض المسجد الأقصىٰ الذي تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة».

ثانياً: شق الأنفاق: وهي عمليات تشترك مع عمليات الحفريات في أنها تهدد أساسات المسجد الأقصىٰ في المرحلة الحالية، وتسهل أو تكمل مشروع بناء الهيكل في المراحل التالية. وكانت قصة الافتتاح الرسمي لنفق (الحشمو نائيم) في سبتمبر عام ١٩٩٦م، بمثابة لفت نظر لتبني الدولة العبرية لمثل هذه المشروعات.

وكان افتتاح النفق في ذلك الوقت إشارة إلىٰ بدء الإجراء العملي (الرسمي) لتحويل المسجد الأقصىٰ إلىٰ معبد يهودي، فبعد أن اكتمل النفق بطول أربعمائة متر في فترة عمل سري؛ افتتحه عمدة القدس (تيدي كوليك) رسمياً في احتفال (علني)، وهذا الافتتاح الرسمي أرادت به الحكومة الإسرائيلية أن تلقي برسالة مفادها أن اليهود أصبحوا شركاء في ساحات الأقصىٰ؛ فالأنفاق تجري من تحتها،

وبداخلها مساحات تصلح لأن تكون كنيساً مؤقتاً، يقيم فيه الراغبون من اليهود صلواتهم (في الدور الأسفل) ريثما يتاح الانتقال إلى الأدوار العليا، وقد وضعت الحكومة الإسرائيلية لوحات إلكترونية داخل النفق، تظهر البلدة القديمة للقدس بدون المسجد الأقصى أو مسجد الصخرة، ويظهر مكانهما الهيكل اليهودي، وسط طابع معماري جديد للمدينة تغلب عليه الصبغة اليهودية. وأرادت حكومة نتنياهو السابقة أيضاً أن يكون الافتتاح اختباراً، تقاس به ردود الأفعال والأقوال العربية والإسلامية إذا ما تم تنفيذ مشاريع أكبر!، وقد جاءت ردود الأفعال والأقوال مشجعة لليهود؛ حتى إن نتنياهو لم يجد مانعاً من التفاخر علناً بما تم إنجازه، مشيداً بعهده (الشجاع) الذي شهد هذا الافتتاح بعد أن تأخر كثيراً، وقال: (إنني فخور جداً؛ ومتأثر جداً، فالنفق يمس أساس وجودنا) (الوطن الكويتية ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦م)، لقد كان افتتاح النفق سبباً في وقوع أزمة كبيرة هددت مسارات (السلام) وقتها لشدة اعتراض السلطة الفلسطينية التي أربكتها المظاهرات والهتافات، ثم تحولت الاعتراضات إلى مناشدات بإغلاق النفق، ولما لم تجدِ الاعتراضات ولا المناشدات استؤنفت المفاوضات بعدها على كل المسارات!... ثم توقفت بعد إصرار اليهود على بناء مستوطنات على جبل أبي غنيم.. ثم استؤنفت حتى جاء الوقت الذي تعاقدت فيه (إسرائيل) مع المنظمة على تحمل (المسؤولية) الأمنية كاملة.. في دمية جديدة من (لعبة) السلام تسمى: (واي بلانتيشن).

ومما يجدر ذكره أن هناك أنفاقاً أخرى ـ لم يُعتَرض عليها ـ يجري الإعداد لها والعمل فيها، والهدف منها أن يأتي وقت تكتمل فيه ممرات وشوارع تحت ساحات الأقصى تسهل التنقل تحته في المراحل القادمة.

ثالثاً: السور العازل بين المسلمين واليهود: اليهود يتهيأون ليوم آتٍ تتأجج فيه المشاعر، وتختلط فيه المسائل، وينفجر بركان الغضب الذي تكتمه أكذوبة السلام؛ فقبل اغتيال إسحاق رابين بعام، طَرحَ مشروعاً رأىٰ أن فيه حلاً نهائياً للفصل بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي، وذلك ببناء سور ضخم يمتد بطول ٣٦٠ كيلو متراً، وارتفاع ثلاثة أمتار، يفصل الأراضي الخاضعة لسلطة الحكومة الإسرائيلية، والأراضي الواقعة تحت السلطة الفلسطينية. وقد هندس للمشروع (موشيه شاحاك) وزير الشرطة الإسرائيلي، ووافق عليه بيريز، وبدأ تنفيذ المشروع عام ١٩٩٦م.

والمشروع ـ عند التأمل ـ لا ينفصل عن مجمل مساعي (الحكومة الإسرائيلية) للتهيؤ لما تخبئه الأيام من صدام حتمي.. وبما أن جُل الصدامات الشعبية مع اليهود في الأرض المحتلة كان الباعث لها والحادي إليها مآذن المسجد الأقصىٰ.. فماذا يا تُرىٰ يمكن أن يحدث لو استُهدفت تلك المآذن ذاتها، واغتيل المسجد بكامله؟!

لا بد إذن من استعداد...

وقد أعلن في حينه أن السور يهدف إلىٰ منع دخول الفدائيين لتنفيذ عمليات (تخريبية) داخل (إسرائيل)، ولكن الظاهر أن الهدف أكبر وهو تمكين اليهود وحدهم من التخريب دون حسيب أو رقيب. إن المشروع واجه صعوبة في تنفيذه في البداية بسبب ضخامة تكاليفه؛ ولكن ـ وكالعادة ـ لم تقصر الولايات المتحدة ـ حكومة وشعباً ـ في دعم المشروع المريب، بل إنها تعهدت بأن يتم تنفيذه كاملاً بتمويل أمريكي خالص، وقد أقرت له ميزانية منذ عام ١٩٩٣م، وقدم كلينتون القسط الأول منها (مائة مليون دولار) في زيارته لـ (إسرائيل) عام ١٩٩٦م،

ومولت واشنطن أيضاً عمليات تزويد السور بـ (١٨) معبراً ، وطائرات استطلاع بدون طيار تحلق على مدار الليل والنهار فوق السور ، وأجهزة لضبط المتسللين وكشف المتفجرات . والسور تقرر تزويده أيضاً ببوابات إلكترونية حديثة تمنع تسرب أي آلة معدنية ، وأعلن في الولايات المتحدة عن إرسال معدات تُرَكَّب في الحيز العرضي للسور مع بالونات عسكرية بها أجهزة رصد تصويرية للحركة على امتداد السور ، وسيزود الأمريكان إسرائيل أيضاً بـ (٢٠٦) طائرة هليوكبتر من النوع الخفيف لمزيد من المراقبة على الساحات المحيطة بالسور ، وسيؤدي السور ـ الذي سيحول المناطق الفلسطينية إلى معتقل كبير ـ إلى حرمان المسلمين في الأرض المحتلة من مجرد التمتع بالنظر إلى أرض المقدسات من وراء الأفق ، وسيمكِّن اليهود من منع المسلمين نهائياً ـ عندما يريدون ـ من الوصول إلى المسجد الأقصى في يوم الجمعة أو في غيره .

بعض الواهمين يظن أن السور الذي تدعمه أمريكا ، يدل على اتجاه إسرائيل نحو الاعتراف بدولة فلسطينية حقيقية ؛ لأنه سيضع فواصل حدودية بينها وبين (إسرائيل) ولكن (شيمون بيريز) حمامة (السلام) النووية ، بدد هذا الوهم عندما قال : (لن تكون هناك دولة فلسطينية ، والسور لا يمثل حدوداً لنا مع هذه الدولة) (العالم اليوم، ٢/ ٣/ ١٩٩٩م) . وحتى لو رأى زعماء حزب العمل بعده ألا ضرر من الموافقة على تلك الدولة الصورية ، فإن هذا السور سيكرس عزلتها وفصلها بشكل نهائي عن القدس التي ظل عرفات يمني الفلسطينيين عبر سنوات بأنها ستكون عاصمة لدولته ، فالسور ليس رسالة سلام إذن ، وليس في مصلحة الفلسطينيين يقيناً .

فماذا يمثل إذن؟ ! إنه يمثل (أسطورة) خيالية ، أخرجتها إلى عالم الوجود

التكنولوجيا (الأيدولوجية) الجديدة!!

اسمعوا إلىٰ هذه الأسطورة التي تتحول أمامنا إلىٰ واقع: جاء في كتاب (القابلاه): في شرح التوراة: «توصف القدس بـ (الشخيناه) يعني الملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات حتىٰ لا تصل إليها قوىٰ الظلام، وستعلو جدرانها حتىٰ يعود التوازن إلىٰ العالم!»(١).

إذن، تحصين القدس وتحويلها إلىٰ قرية محصنة والاستتار خلف أسوارها.. ثم القتال الجبان من خلف جدرانها؛ ليس إلا تعبيراً حديثاً جداً، عن التركيبة العقدية والنفسية العتيقة لأمة اليهود الملعونة علىٰ ألسنة الرسل، وصدق الله القائل: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾[الحشر: ١٤].

إن وراء خطوة اليهود الرامية إلىٰ هدم الأقصىٰ خطوات أكبر إلىٰ مساعٍ أخطر يمثلها ذلك الإصرار العنيد علىٰ بناء الهيكل الثالث.. هيكل سليمان، فما هو... ولماذا يعاد بناؤه... ومتىٰ يريدون الإعادة... وماذا أعدوا لذلك؟

لنحاول التعرف علىٰ ذلك فيما يأتي.

(١) انظر موسوعة اليهودية والصهيونية، للدكتور عبد الوهاب المسيري(٤/ ١٢٥).